

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

الانتصار على الذات

ليست إرادة الحق في عرفكم ؛ أيها الحكماء ، إلا تلك القوة التي تحفزكم وتضطرم فكم ، تلك هي إرادتكم التي أسميها أنا (إرادة تصور الوجود) فانكم تطمحون إلى جعل كل موجود خاضعا لتصوركم ، وأنتم تحاذرون بحق أن يكون هذا الوجود قد أحاط به التصور من قبل فتريدون أن تخضعوا لإرادتكم كل كائن لتحكموا فيه بالصقل ليصبح مرآة تنعكس عليها صورة العقل هذا ما تطمحون إليه ، يا أحكم الحكماء ، وتلك هي إرادتكم تجاه القوة والخير والشر وتقدير قيم الأشياء .

انكم تريدون خلق عالم يمكن لكم أن تجتروا أمامه ، تلك هي نهاية نشوتكم وآخر أمنية لكم . ولكن البسطاء الذين يدعون شعبا يشبهون نهرا تغوصه أبدأ ماخرة تقل الشرائع ، وقد جلسن عليها بعظمة وأنزلن على وجوههن الحجاب .

لقد أرسلتم إرادتكم وشرعتكم على نهر الزمان ، ولكن إرادة القوة مثلت أمامي وكشفت لي حقيقة الخير والشر في اعتقاد الشعوب

وهل سواكم ، أيها الحكماء ، من أنزل بارادته المتسلطة هذه الشرائع في هذه الماخرة وقد حليتموهن بالجواهر وأسبغتم عليهن أروع الاسماء .

لقد سار النهر يحملن بالنسبانه وسهم الماخرة يشق أمواجه ومن يبالى بالموجة تقاوم عبثا في إرغائها وإزبادها .

إن الخطر الذي يهدد خيركم وشركم لا يكمن في النهر ، أيها الحكماء ، بل الخطر كل الخطر في إرادة القوة نفسها لأنها الإرادة الحية الدائمة المبدعة .

ان مأسأوله عن الحياة سيوضح لكم اعتقادي في الخير والشر عند ما أتناول بيباني ما تفعل العادات في الأحياء .

لقد ساءرت الكائن الحي على معابره وأشواطه لاتعرف إلى عاداته ، وعند ما كانت الحياة صامتة نصبت أمامها مرآة باللف ضلع لاستغلق عينيها فكلمتني لحاظها .

في كل مكان عثرت فيه على حي . طرقت أذني كلمات الطاعة فاما من حي يتعالى عن الخضوع ، وعرفت أيضا أن ليس من محكوم في الحياة سوى من لا قبل له بإطاعة نفسه ... تلك هي عادة كل حي .. وهذا ما سمعت أخيرا : إن تولى الحكم أصعب من الطاعة لأن الأمر يحمل أفعال جميع الخاضعين له وكثيرا ما ترفق هذه الأفعال كواهل الأمرين .

إن في أمر خطرا وبجاذفة ، وكل مرة يصدر الحي فيها أمرا — يقتحم خطرا .

وإذا ما تحكم الحي في ذاته فانه يؤدي جزية لسلطانه إذ يصبح قاضيا ومنفذاً وضعية للشرائع التي يستنها .

وتساءلت عن علة هذه الأمور وعن القوة التي ترغم الحي على الانقياد والتحكم فتجمله خاضعا حتى إذا حكم . ولعلني توصلت إلى سبب قلب الحياة إلى الضعيف ، فاصغوا إلى قولي أيها الحكماء .

لقد تيقنت وجود إرادة القوة في كل حي ورأيت الخاضعين أنفسهم يطمحون إلى السيادة لأن في إرادة الخاضع مبدأ سيادة القوى على الضعيف ، فإرادة الخاضع تطمح إلى السيادة أيضا لتحكم فيمن هو أضعف وتلك اللذة الوحيدة الباقية لها فلا — تتخلى عنها .

وبما أن الأضعف يستسلم للأقوى والأقوى يتمتع بسيادته على هذا الأضعف فان الأقوى يعرض نفسه للخطر في سبيل قوته فهو يجاذف بحياته مستهدفا للآخطار .

إن إرادة القوة كامنة حتى في مجال التضحية والخدمة المتبادلة وبين فطرات العاشقين لذلك يتجه الأضعف إلى السبل الملتوية قاصدا اجتياز الحصن والتربع في قلب الأقوى مستوليا فيه على قوته لقد أودعني الحياة سرها قائلة : لقد تحتم على أن أتفوق أبدا على ذاتي . وانكم لتحسبون هذا الاندفاع إرادة إبداع أو غريزة تحفزني إلى الهدف الأسمى والأبعد منالا بعديد جهاته ، في حين أن ليس هنالك إلا وجهة واحدة وسر واحد . رإيتي لأفضل —

العدم على التحول عن هذه الوحدة .

والحق أنكم حيث تشهدون انحدارا وسقوط أوراق من الأدواح ، فهناك تشهدون تضحية الحياة من أجل القوة . لقد وجب على أن أكون أنا الجهاد والمستقبل والهدف وأن أكون في الوقت نفسه الحائل الذي يسترضني في انطلاقي إلى هدفي لذلك لا يعرف الانسان الطريق المتعرجة التي عليه أن يسلكها إذا هو لم يدرك حقيقة إرادتي .

مهما كان الشيء الذي أبدعه ولومهما بلغ حي له فان على أن .

رأيت اليوم رجلا من العظماء الأجلاء الذين يكفرون من أجل الروح . فاستقرت روحي في ضحكها هازئة ببقعه . غير أن هذا العظيم لم يبد ولم يعد . بل انتفخ صدره - كن يتنفس الصعداء ، فلاح لي بحقائقه المروعة وبأثوابه الممزقة غصنا كله أشواك وليس فيه ورد .

ما تعلم هذا القناص الضحك ولا عرف الجمال ، فانه راجع من غاب المعرفة أغبر الوجه بعد أن صارح فيها الوحوش فانطبت صورهم على سياته ، فهو كالنمر يتحضر للثوب ، وما أحب مثل هذه الأرواح المنقبضة على ما تضمر .

تقولون ، أيها الصحاب ، إنه لا جدال في الذوق وفي الألوان فكأنكم تجهلون أن الحياة بأسرها فضال من أجل الأذواق والألوان .

ما الذوق إلا الموزون والميزان والوازن . . . فويل لكل حتى يريد أن يعيش دون فضال من أجل الموزونات والماززين والوازنين ليت هذا الرجل العظيم يتعب من عظمته ليظهر الجمال فيه فانه في ملاله من هذه العظمة يستحق أن أندوقه فأجد له طعما .

إذا لم يتحول العظيم عن نفسه فلا يمكنه أن يقفز فوق خياله لتغمره أشعة شمس . لقد تقيأ الظل طويلا ، هذا المفكر من أجل الروح ، فمحب وجهه وكاد في انتظاره أن يموت جوعا ، وهذه عيناه تشعان بالاحتقار وشفاته تبرمان بالاشمئزاز ، انه يلتمس الراحة الآن ولكنه لم ينطرح تحت الشمس بعد .

ليت هذا الرجل يمثل بالثور فيفوح من سعادته عقب الأرض لا احتقار الأرض . ليت كالثور الأبيض يعج أمام المحراث فيرتفع عجيجا ، تسبحا للأرض وما عليها .

لقد اكفر وجه هذا العظيم إذ تلاعبت على خديه أظلال يده فاخفت عيناه . وأعماله نفسها لم تزل كالخيال تلوح ولا تبدر عليه . فان اليد ترسل خلاقاتها على العامل إذا هو لم يتفوق على عمله إنني أقدر احتمال هذا الرجل لير الثور ولكنني أتمنى أن تشع نظرات الملاك في عينه ، ولن تشع هذه النظرات ما لم ينس ما فيه من إرادة الإبطال . لان ما أريد له هو أن يصير رجلا ساميا لأن يبقى في مرتبة الرجل العظيم حيث يفقد الانسان إرادته فتلاعب به أضعف النساء .

لقد تغلب هذا العظيم على الجبارة وتوصل إلى حل الرموز ولكن على الآن أن ينقذ هذه الجبارة وهذه الرموز ليحولها إلى طفولة الألوهية .

إن معرفة هذا الرجل لم تعلم الابتسام ولا الترفع عن الحسد كما أن موجة شهبواته لم تسكن في خضم الجمال . وما عليه أن يدفع (البقية في ذيل الصفحة التالية)

انقلب له خصما ، وأتحول عن حبي وحناني ، ذلك ما قصته إرادتي على وأنت ، أنت يا من تطلب المعرفة ليس لك من سبيل غير سبيل فعلبك أن تقنق أثر إرادتي ، وما تقنق إرادتي إلا آثار إرادة الحق

ما عثر على الحقيقة من قال بإرادة الحياة ، لأن مثل هذه الإرادة لا وجود لها ، وليس للعدم إرادة كما أن المتمتع بالحياة لا يمكنه أن يطلب الحياة

ولا إرادة إلا حيث تتجلى حياة ، ومع هذا فان ما أدعو إليه إن هو إلا إرادة القوة لا إرادة الحياة

ان هنالك أمورا كثيرة يراها الحى أرفع من الحياة نفسها ، وما كان ليرى أشياء أفضل من الحياة ، لو لم تكن هنالك إرادة القوة .

هذا ما علنتي إياه الحياة يوما ، وأنا بهذا التعليم أهتك أسرار قلبكم ، أيها الحكماء . فأقول لكم : إنه ليس هنالك من خير دائم وشر دائم ، لأن على الخير والشر كليهما أن يندفعا أبدا إلى التفوق والاعتلا

وأتم أيها الواضعون للقيم أقدارها بمقاييسكم وأوزانكم وبما تقولونه عن الخير والشر هل كان لكم أن تفعلوا هذا لو لم تكن لكم إرادة القوة ؟ وما تطمعون في أعماق ضمائركم إلا إلى الشهرة والشعور بتأثركم وفضان أرواحكم . ولكم تجهلون أن في الأمور التي تخضعونها لتقديركم قوة أعظم من تقديركم تنمو وتتفوق على ذاتها لتحطم غلافها وقشورها ، فن أراد أن يكون مبدعا سواء أ كان في الخير أو في الشر فعليه أن يبدأ بهدم ما سبق تقديره وبتخطيه تحطيا . وهكذا فان أعظم الشر يبدو جزءا من أعظم الخير ، ولكن هذا الخير لم يعط إدراكه إلا للبدعيين

لقد حق علينا القول أيها الحكماء ، مهما كلفنا الجهد به فان الصمت أشد وطأة علينا ، لأن كل حقيقة نكتنمها إنما تتحول إلى سم زعاف فينا ، فلنحطم الحقائق التي نجهر بها ما يمكنها أن تحطم فان هنالك أبنية عديدة يجب علينا أن نرفعها هكذا تكلم زارا . . .

العظيم

إن في بحر هدأت أعماقه ، فمن يظن أنه يخفي مسوخا دأبها المزاح ؟ إن أغوارى صامدة لا تنزعزع ، غير أنها تتأوج بالمعيات وتجاوب فيها من الضحك نبرات وأصداء .